المحاضرة السّابعة: الصناعة المُعجميّة عند الغرب

عُرفت الصّناعة المُعجميّة قبل العرب بقرون، وعند أمم عديدة، كالأشوريين والسّريان والعبرانيين والمصريّين والصّينيين واليونانيين والهنود، إلّا أنّها جميعا لم ترق إلى ما كان عند العرب، حيث لم تكن بشكل صناعة كاملة مضبوطة. ومع نهاية القرن التّاسع عشر، خطت خطوات فسيحة، وكانت لها آثاراً واضحة في الصّناعة المعجميّة الغربيّة، بين إنجليزية وفرنسية وألمانية وروسية[1]. وساعد على ذلك عمل المستشرقين وتأثّرهم بالصّناعة العربيّة، وإنجازهم لعديد المعاجم، وهو ما جعل الصّناعة المعجميّة الغربيّة الحديثة والمعاصرة مرجعاً في الصّناعة والتّأصيل.

1. الصناعة المعجميّة عند القدماء:

وسنقتصر هنا على أبرزها، وهو ما وجد عند الهنود والصّينيين واليونان.

1.1 ـ عند الهنود:

بدأت في شكل قوائم تضمّ الألفاظ الصّعبة الموجودة في نصوصهم المقدّسة (الفيدا)، ثمّ تطوّر هذا النّظام فأُلحق بكلّ لفظ في القائمة شرح لمعناه. ثمّ ظهرت كتب لا تقصر نفسها على ألفاظ النّصوص المقدّسة، وأقدم ما وصلنا منها معجم ظهر قبل القرن السّادس الميلادي لمؤلّف بوذي اسمه "أمارا سنها" وكان اسم معجمه "أمارا كوزا"، ضمّ كلمات المترادفات وجزء من المشترك اللّفظي، كتب في شكل منظوم ولم يتّبع أي ترتيب[2].

2.1 ـ عند الصّينيّين:

كانت أوّل محاولة منظّمة عندهم للتّعريف بالأشكال التّعبيريّة، في معجم "ايه يا" (Eay Ya)، وهو معجم معاني، يؤرخ له بين 200ق.م وميلاد المسيح، ومع نهاية ق1 ميلادي ظهر معجم (Shwo Wan) ألّفه "هو شين"، ضمّ (10600) كلمة، وكان جلّ اهتمامه على الكلمات الّتي وردت في النّصوص الدّينيّة. ثمّ معجم صوتي "هي فا ين" (Hu Fa Yen) بين عامي 581م و601م[3].

3.1 ـ عند اليونان:

ارتبطت أعمالهم بالفلسفة، وأنتجوا عدداً ضخماً من المعاجم، تذكر دائرة المعارف البريطانيّة أنّها اقتبست نصوصاً من 35 عملاً معجمياً فقدت جميعها، من أشهر معاجمهم معجم أبوقراط الّذي ألّفه جلوسيس 180ق.م وهو معجم هجائي. ويعُدُّ العلماء القرون الأولى بعد الميلاد هي العصر الذّهبي للمعاجم اليونانيّة، خاصّة في المرحلة الإسكندريّة[1]، وكان أهمّ معجم أقيم على الإطلاق معجم السّفسطائي أبولونيوس، الّذي ضمّنه الكلمات الّتي كانت مستعملة لدى هوميروس، وبعد ظهور المسيحيّة انتعشت الصّناعة المعجميّة، وبرز[2]:

ـ معجم أريون الطيبي (390–460م) وهو معجم اشتقاقي.

ـ معجم هلاديوس السكندري (ق5م) مرتّب هجائياً.

ـ معجم أمنيوس ق5م خصص للمشترك اللّفظي.

ـ معجم هزيشيوس للّهجات والسّمات المحليّة.

كما ألّفوا معاجم خاصّة بالطّهي وبأوعية الشّراب وبصياح الحيوان وبالمترادفات وأخرى خاصّة بأفلاطون والخطباء الأتيكيين العشرة وبقراط وغيرهم. ولم يبق من هذه المعاجم إلّا القليل. وأوسع هذه المعاجم مجالاً معجم يوليوس بولكس في عهد كمودس، وهو مرتّب بحسب الموضوعات مثل المخصّص لابن سيّده[3].

2. الصناعة المعجميّة الحديثة:

لم نجد أيّ مرجع أو بحث باللّغة العربيّة يتحدّث عن تطوّر الصّناعة الغربيّة الحديثة، فما كان علينا إلّا ولوج بعض أشهر المواقع العالميّة المشهورة، لنتتبّع ذلك. وسنركّز هنا على معجم أكسفورد الإنجليزي، ثمّ معجم لاروس الفرنسي.

3

صورة من الصّفحة الرّسميّة للموقع

ففي عام 1857م، لاحظ أعضاء الجمعّية الفيلولوجّية بلندن أنّ جلّ قواميس اللّغة الإنجليزيّة المتداولة آنذاك ناقصة غير مكتملة، فما كان عليهم إلّا أن يطالبوا بإعادة النّظر فيها منذ أن تبلورت اللّغة الإنجليزيّة من العصور الأنجلوسكسونيّة إلى العصر الحديث. وعقدت أوّل اجتماع لها من أجل النّظر في القواميس، ثمّ حلّ عام 1879م، لتبرم الجمعيّة اتّفاقيّة مع مطبعة جامعة أوكسفورد، ومن ثمّ كلّفت "جيمس موراي" رسمياً ببدء العمل على وضع قاموس اللّغة الإنجليزيّة الجديد (قاموس أوكسفورد للّغة الإنجليزيّة).

في بداية الأمر تقرّر أن يكون القاموس الجديد في أربعة مجلّدات تحتوي على (6400) صفحة، تشمل كلّ مفردات اللّغة الإنجليزيّة بدءاً من عام 1150م، بالإضافة إلى بعض الكلمات الّتي كانت سائدة في وقت سابق، وضمنت وجودها اللّغة الإنجليزيّة الوسطى. إذن هو مسح لكلّ الألفاظ الّتي نحتتها اللّغة الإنجليزيّة.

كانت التّقديرات تشير إلى أنّ مدّة المشروع قاربت عشر سنوات. وبعد مضي خمس منها، وفور وصول "جيمس موراي" وزملائه عند كلمة (Ant) أدركوا ساعتها أنّ الوقت حان لإعادة النّظر في الجدول الزّمني. ولم يكن عجباً أن يستغرق المشروع وقتاً أطول من توقّعاتهم. ولم تكن الصّعوبات تكمن في تعقيدات اللّغة الإنجليزيّة فحسب؛ بل في نموّها وتطوّرها المتواصلين أيضاً. فإلى جانب قائمة المفردات المشكّلة منذ سبعة قرون، الّتي تبنّاها فريق العمل، كانوا يحاولون إدراج كلمات ومعان جديدة فيها كذلك. التّأليف مع التّحيين لم يسمحا لفريق "جيمس موراي" من نشر الجزء الأوّل منه عام 1884م، إذ كان عليهم أن يقوموا بدراسات أكثر شمولاً ممّا كانت تتصوّره الجمعيّة الفيلولوجيّة اللّندنيّة قبل ثلاثين عاماً.

واصل المشروع شقّ سبيله مدّة أربعة عقود، وفيها عرف انضمام محرّرين جدد إليه، وتوسّع فريق "جيمس موراي" إلى مختصّين آخرين من أمثال: "هنري برادلي" و" و.أ. كريجي"

واضعه هو "بيار أتاناز لروس" Pierre-Athanase Larousse (1817م-1875م)، نحوي ومعجمي وموسوعي، أشرف على العديد من الأعمال التّعليميّة، والمراجع الأكاديمية. كان أوّل عمل موسوعي مرجعي للّغة الفرنسيّة، المعجم الكبير للقرن التّاسع عشر، الّذي نشرته المؤسّسة عام 1866م، في (15) مجلّداً، ثمّ أتبعه بعدّة ملاحق عام 1878م. يعدّ بحقّ موسوعة شاملة ذات قيمة عالية، وكان هدف المشروع تعليمياً موسوعياً، وقد لاقى ذلك قبولاً كبيراً في الأوساط التّعليميّة والأكاديميّة على الّسواء.

لا جرم أنّ هذا المعجمُ يعدّ مكتبة حقيقيّة؛ فهو يعادل عدّة آلاف من الأعمال الّتي تناولت المواضيع الآتية: اللّغة الفرنسيّة والنّطق وعلم أصول الكلام واقتران الأفعال غير النّظاميّة، والقواعد النّحويّة والتّعريفات والعبارات المألوفة والأمثال، والتّاريخ والجغرافيا وسير الأعلام في الماضي والحاضر والأساطير، والعلوم الفيزيائيّة والرّياضيات والعلوم الطّبيعيّة، والعلوم الأخلاقيّة والسّياسيّة والاختراعات والاكتشافات، والأجناس الأدبّية والحرف، وأبطال الملاحم، والرّوايات، والرّسوم الكاريكاتوريّة السّياسيّة، والاجتماعيّة، والبيبليوغرافيا العامّة، والفنون الجميلة، وتحليل الأعمال الفنيّة بما في ذلك المختارات الفرنسيّة، واللّغات الأجنبيّة، والحكايات الأسطوريّة.

والآن نجده مطبوعاً في (24) مجلّداً مصحوباً بملحق الفهارس. وبمحاذاته، يجب ألّا ننسى معجم لاروس الصّغير الّذي اتّخذ على غلافه المقوّى شعاره القائل: "أزرع لكلّ ريح". فهو يصدر كلّ عام بطبعة جديدة، ويحظى كلّ عشرة أعوام بمراجعة دقيقة تقوم بها الأكاديميّة الفرنسيّة بإضافة الجديد من الألفاظ العلميّة، والفنيّة، والتّقنيّة، وكذلك ألفاظ اللّهجات المحليّة، والدّخيلة على اللّغة الفرنسيّة. إنّ المعجم الكبير للقرن التّاسع عشر هو القاطرة لقواميس ألّفت فيما بعد، متخصّصة في اللّغة الفرنسيّة ومواضيعها المتعدّدة، ولقواميس طبيّة وزراعيّة وعلميّة، وفنيّة في الرّسم والمسرح والطّبخ وغيرها. وبسبب معجم لاروس، كانت هناك معاجم فرنسيّة أخرى، مثل: معجم "لوربير" (LE ROBERT) ومعجم "هاتييه" (HATIER) ومعجم هاشات (HACHETTE) ومعجم كييه (QUILLET).

(85%) من هذا الإنجاز على برامج حاسوبيّة، ولكن (15%) المتبقيّة من العمل والّتي تمثّل الجزء الحرج من المعجم، اعتمدوا فيها على قدراتهم التّدقيقيّة الفرديّة، وتوّجت هذه المهمّة الضّخمة بإعداد نسخة قاموس أوكسفورد الإلكترونيّة، وتمّ نشرها في أواخر 1989م.

في عام 1992م، حدثت طفرة في قاموس أوكسفورد مرّة أخرى سجّلها التّاريخ عندما تمّ نشر طبعة إلكترونيّة جديدة ومنقّحة ومزيدة في أقراص مضغوطة؛ ذلك لأنّه تمّ تخفيض منتج ضخم يتألّف من عشرين مجلّداً إلى حجم ضئيل، قرص لامع يتّسع له مكان مهمل المساحة. وقد لاقت نسخة قاموس أوكسفورد على الأقراص المضغوطة نجاحاً كبيراً، فالصّيغة الإلكترونيّة قد أحدثت ثورة في طريقة استخدام النّاس البحث في القاموس، واسترجاع المعلومات. فعمليّة تتبّع أصول الكلمات أو الاقتباسات المعّقدة الّتي كان من المستحيل إجراؤها باستخدام النّسخة المطبوعة، أصبحت الآن لا تستغرق سوى بضع ثوان.

ومرّة أخرى، فإنّ قاموس أوكسفورد للّغة الإنجليزيّة يتابع تطوّره باستغلال كلّ الابتكارات التّكنولوجيّة الحديثة بطريقة جيّدة، فهو من أوائل المعاجم المتاحة في نسختها الكاملة على الشّبكة العالميّة، وفي كلّ ثلاثة أشهر يتمّ نشر طبعة جديدة على الشّبكة العالميّة تضمّ تنقيحات أو إضافات كلمات جديدة. إنّه ليس مجرّد وثيقة مناسبة للبحث عن الكلمات وأصولها؛ بل جزء لا غنى عنه في الثّقافة الإنجليزيّة. فهو لا يوثّق تطوّر هذه اللّغة فحسب، بل يوثّق أيضاً التّنامي المستمرّ للمجتمعات النّاطقة بها.

2.2 ـ معجم لاروس الفرنسي:

معجم لاروس، المعجم الكبير للقرن الّتاسع عشر[1].

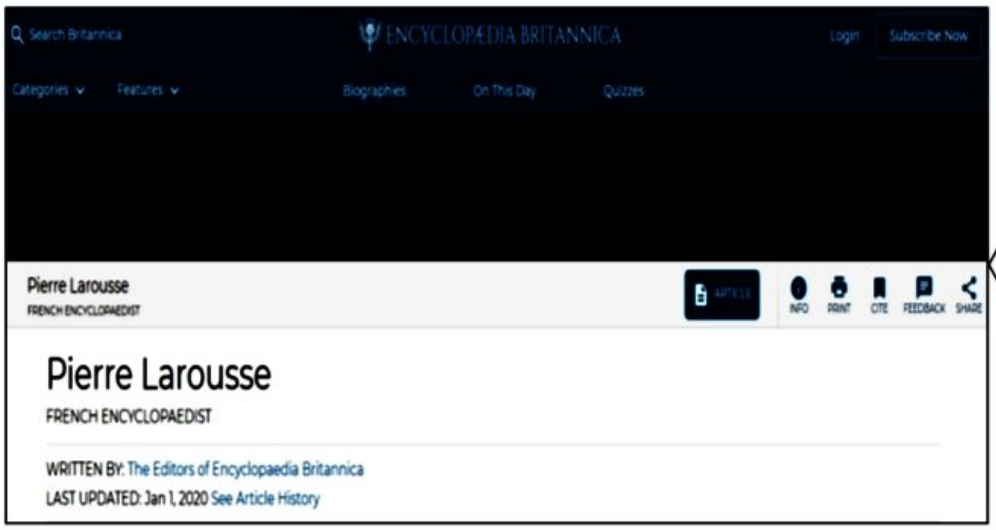

صورة من الصّفحة الرّسميّة للموقع

5

و"ك.ت. أونيونس". وتمّ إصدار عدّة كرّاسات إلى غاية أفريل من عام 1928م، الّتي عرفت نشر المجلّد الأخير أيضاً. وبدلاً من (6400) صفحة موزّعة بين أربعة مجلّدات، فقد نُشر القاموس باسم القاموس الجديد للّغة الإنجليزيّة محافظاً على كلّ المبادئ التّاريخيّة، جامعاً أكثر من (400.000) كلمة وعبارة في عشرة مجّلدات.

وبعد مرور خمسين عاماً من العمل الدّؤوب في طبعته الأولى، وبمجرّد الانتهاء من المجلّدات العشرة الأصليّة للقاموس الجديد، بُدء بتحديثه. وفي عام 1933م، تمّ نشر ملحق القاموس في مجلّد واحد، وبعده تمّ طبع القاموس الأصلي في اثني عشر مجلّداً. ومنذ ذلك الحين، سمّي باسمه الحالي قاموس أوكسفورد للّغة الإنجليزيّة، وبقي معتمداً لعدّة سنوات، ثمّ جاء عام 1957م، وفيه عُيّن "روبير بورشفيلد" محرّر ملحق جديد. فشمله الكثير من المعلومات الجديدة خاصّة مفردات القرن العشرين. حقاً لقد أضيف فيه المزيد من الألفاظ العلميّة والتّقنيّة الّتي استحدثت في القرن العشرين، وجرى توسيع نطاق القاموس؛ ليشمل الكثير من الكلمات الوافدة من أمريكا الشّماليّة، وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا وجنوب آسيا ومنطقة البحر الكاريبي، وذلك بين عامي 1972م و1986م.

ولا ننسى أنّه في عام 1982م، احتدم النّقاش حول كيفيّة تحديث هذا القاموس الهائل وعصرنته، والانتقال إلى استعمال الوسائل الإلكترونيّة الحديثة. فكان لزاماً تغيير المسؤولين ومديري المشاريع، ومهندسي النّظم، وكذلك مُحرّري المعجم من أجل التّناسب مع الوسائط العصريّة. وفي عام 1984م، أطلق مشروع أوكسفورد الجديد حتّى يتلاءم والطّفرة التّقنيّة الحديثة. وفعلاً تمّ نشر طبعة مُتكاملة حديثة، وتوفير النّصوص الإلكترونيّة الكاملة عام 1989م؛ لتشكّل أساس النّسخة الحاسوبيّة الّتي أصدروها فيما بعد. إنّ قاموس أوكسفورد أخذ قرناً من الزّمن ليرى النّور، ثُمّ تحوّل إلى مادّة محوسبة آلياً بفضل رصد ميزانيّة ضخمة قدّرت بـ(13.5) مليار دولار مدّة خمس سنوات. فهو أكثر جاذبيّة للإثارة في تاريخ الطّباعة والنّشر. فقد تمّ اعتماد (SGML) نظام ترميز، وشارك في الرّقمنة (120) شخصاً، وما يفوق (50) مصحّحاً ومدقّقاً. تكفّل كلّ من "جون سمسون" و"إيدموند فاينر"، مع مجموعة من المختصّين في فنّ صناعة المعاجم، بمراجعة هذا القاموس الإلكتروني الجديد وتدقيقه وتحريره، وكذلك إضافة (5000) من الكلمات والمعاني الجديدة إلى (400.000) من التّعريفات الّتي تضّمنتها (60.000.000) كلمة سابقاً. وقد اعتمد فريق الحوسبة في